العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

الصبر... عطاء جزيل وخير وفير

تعرّف على الصبر الممدوح والمذموم وكيفية التعاطي مع الأزمات

حسن الهاشمي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: الصبر..عطاء جزيل وخير وفير
تأليف: حسن الهاشمي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
الاخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الأسدي/ محمد قاسم النصراوي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .

ربيع الأول ١٤٣٦-كانون الثاني ٢٠١٥

تمهيد

قبل الولوج بالبحث عن الصبر ومآثره لابد من الوقوف على حقيقة الإنسان فهو ميال للدعة والراحة والاستجمام مستوحش طريق الجد والتعب والكمال، ومن هنا نستجلي معنى الصبر فإنه وإن كانت محطاته ترهق النفس المادية بيد إن نتائجها طيبة وثمراتها مباركة تجلب الخير والرفاه ليس على صاحبها فحسب بل على المجتمع برمته إذا ما استمسك بعروة الصبر وارتوى من معينه الذي لا ينضب، فلولا سهر الليالي والمطالعة والبحث وكبح جماح الدعة والاسترسال لما بلغ العلماء تلك المنازل العظيمة في خدمة العباد والبلاد، وهكذا في سائر مناحي الحياة نجد أن الصبر على المكاره والنوائب هو الذي ينجي الانسان ويوصله إلى هدفه بسرعة مذهلة، بخلاف

الذي ينهار أمام المشاكل فإنها تتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال وتركمه في متاهات الحياة دون أن يحصل ولو على الحد الأدنى مما يصبو إليه عن نبي الله عيسى عليه السلام: «**إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون**».

وبارقة الأمل هذه نعمة عظيمة تدخل في صناعة الخير والتوفيق، فهي بحق صمام أمان لكل الأعمال الدنيوية والأخروية، وبدونها يضحى عمل الانسان صعبا مستصعبا أشبه ما يكون بخرط القتاد، وتذكر دائما أنك لا تقدم على أي عمل مبارك وناجح إلا ومفتاحه الصبر والتحمل، فإنك لا تستطيع أن تنجز أي عمل مثمر ولا أن تقدم على أية عبادة مقبولة إلا بالصبر على مكاره الحياة ووساوس الشيطان ورغائب النفس الأمارة بالسوء، ومن هنا ندرك أهمية هذه المفردة في حياتنا، بل إنها تحدد مصير الإنسان سلبا أو ايجابا بقدر ابتعاده عنها أو تقمصها بنسب النجاح

المتفاوتة، ولزاما علينا في توخي سبل النجاح في حياتنا اليومية، تناولنا هذا الأصل الأصيل في تفعيل وتسديد سلوك البشر لما فيه الخير والصلاح، فكانت العناوين التالية هي المفتاح للولوج إلى تلك الدوحة المباركة، لنتعرف على الصبر: أنواعه، نتائجه، كيف نحصل عليه؟ مقامات الأنبياء والمؤمنين العظيمة ما هي إلا ثمرة من ثمراته الوارفة الظلال، التواصي بالصبر ضرورة ملحة، وأخيرا وليس آخرا البشرى الإلهية لمن اعتصم بحبل الصبر، فإن جميع الخصال الحميدة فيها مقدار معيّن من الأجر والثواب ما خلى الصابر فإن الثواب ينهمر عليه بغير حساب.

لنتعرف على الصبر

الصبر وهو حبس النفس عما تحب، وترك الجزع عما تكره، وهو تحمل الانسان لحالة حدثت له تستدعي منه التحمل والهدوء، ومعالجة الأمور بتعقل ولو طالت مدة هذه الحالة، مثل تحمل المريض لمرضه، وصاحب المصيبة لمصيبته، وأيضا تحمله لترك الذنوب، وتحمل حصول الانسان على النعمة والاستمرار في شكر الله وطاعته وعدم معصيته، والصبر من فروع الرضا بقضاء الله وقدره وهو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، وأفضل الصبر هو الصبر على ترك الذنوب ثم الصبر على الطاعة، ثم الصبر على البلاء والمصائب.

وبهذا المعنى فالصبر دليل رجاحة العقل، وسعة الافق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجلد، كما

هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقي من شماتة الاعداء والحساد.

وكفى بالصبر شرفاً وبالصابرين جلالاً ان الله ﷻ اشاد به في نيف وسبعين موطناً من كتابه الكريم كقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾. (الانفال: ٤٦).

وأغدق على الصابرين الثواب الجميل والأجر الوافر والمقامات العلية: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾. (الزمر: ١٠).

أنواع الصبر

١. الصبر على الطاعة، وهو صبر على النعمة التي أنعم الله بها على الانسان، وبأن يصبر على الشكر لصاحب النعمة وهو الله تعالى فيسير في طريق

الاستقامة ولا ينحرف بسبب وجود النعمة وكثرتها فيبذر ماله مثلا أو تفسد أخلاقه، فيصبر على الطاعة كما يصبر على أن لا يعصي خالقه ويستمر في العبادة والصلاة لوقتها وصوم شهر رمضان وغير ذلك، وعن الامام علي عليه السلام: «**إنا وجدنا الصبر على طاعة الله أيسر من الصبر على عذابه**».

٢. الصبر على عدم معصية الله، فمثلا يصبر بأن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكبر ولا يرتكب المحرمات.

من الواضح ان النفوس مجبولة على الجموح والتنصل من النظم الالزامية والضوابط المحددة لحريتها وانطلاقها في مسارح الاهواء والشهوات، وان كانت باعثة على اصلاحها واسعادها.

فهي لا تنصاع لتلك النظم والضوابط الا بالإغراء والتشويق او الانذار والترهيب، وحيث

كانت ممارسة طاعة الله عز وجل، ومجافاة عصيانه، شاقتين على النفس، فكان الصبر على الطاعة، والتصبر عن المعصية من اعظم الواجبات، واجل القربات.

قال الامام الصادق عليه السلام: «**الصبر صبران: فالصبر عند المصيبة حسن جميل، وافضل من ذلك الصبر عما حرم الله عز وجل عليك ليكون لك حاجزاً**».[1]

٣. الصبر على البلاء والمصائب والمشاكل، فكل انسان يعاني من هذه الأمور، فإن اراد الراحة في الدنيا والثواب في الآخرة فعليه أن يصبر ويسلم أمره إلى الله ويتوكل عليه ويرضى بقضاء الله وقدره ويحاول أن يعالج البلاء بتعقل وهدوء.

فالإنسان عرضة للمآسي والرزايا، تنتابه قسراً واعتباطاً، وهو لا يملك ازاءها حولاً ولا قوة، وخير ما يفعله الممتحن هو التذرع بالصبر، فانه بلسم

(١) الكافي ج٢ ص١٧٤.

القلوب الجريحة، وعزاء النفوس المعذبة.

ولولاه لانهار الانسان، وغدا صريع الاحزان والآلام، من اجل ذلك حثت الآيات والاخبار على التحلي بالصبر والاعتصام به قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**. (البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧) .

مما يجدر ذكره ان الصبر الجميل المحمود هو الصبر على النوائب التي لا يستطيع الانسان دفعها والتخلص منها، كفقد عزيز، او اغتصاب مال، او اضطهاد عدو، اما الاستسلام للنوائب، والصبر عليها مع القدرة على درئها وتلافيها فذلك حمق يستنكره الاسلام، كالصبر على المرض وهو قادر على علاجه، وعلى الفقر وهو يستطيع اكتساب

الرزق، وعلى هضم الحقوق وهو قادر على استردادها وصيانتها.

ومن الواضح ان ما يجرد المرء من فضيلة الصبر، ويخرجه عن التجلد، هو الجزع المفرط المؤدي الى شق الجيوب، ولطم الخدود، والاسراف في الشكوى والتذمر.

اما الآلام النفسية، والتنفيس عنها بالبكاء، او الشكاية من متاعب المرض وعنائه فإنها من ضرورات العواطف الحية، والمشاعر النبيلة، كما قال صلى الله عليه وآله عند وفاة ابنه ابراهيم: ﴿**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون**﴾.[1]

٤. الصبر على النعم، وهو ضبط النفس عن مبررات البطر والطغيان، وذلك من سمات عظمة

(١) الكافي ج٣ ص٢٦٢.

النفس، ورجاحة العقل، وبعد النظر.

فليس الصبر على مآسي الحياة ورزاياها بأولى من الصبر على مسراتها واشواقها، ومفاتنها، كالجاه العريض، والثراء الضخم، والسلطة النافذة، ونحو ذلك، حيث ان اغفال الصبر في الضراء يفضي الى الجزع المدمر، كما يؤدي اهماله في السراء الى البطر والطغيان: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى**﴾. (العلق: ٦،٧).

والمراد بالصبر على النعم هو رعاية حقوقها، واستغلالها في مجالات العطف والاحسان المادية او المعنوية كرعاية البؤساء، واغاثة المضطهدين، والاهتمام بحوائج المؤمنين، والتوقي من مزالق البطر والتجبر.

وللصبر انواع عديدة اخرى:

فالصبر في الحرب: شجاعة، وضده الجبن.

والصبر عن الانتقام: حلم، وضده الغضب.

والصبر عن زخارف الحياة: زهد، وضده الحرص.

والصبر على كتمان الاسرار: كتمان، وضده الاذاعة والنشر.

والصبر على شهوتي البطن والفرج: عفة، وضده الشره.

فاتضح بهذا ان الصبر نظام الفضائل وقطب المكارم، ورأس المفاخر، فهو عصمة الواجد الحزين، يخفف وجده، ويلطف عناءه، ويمده بالسكينة والاطمئنان.

وهو ضمان من الجزع المدمر، والهلع الفاضح، ولولاه لانهار المصاب، وغدا فريسة العلل والامراض، وعرضة لشماتة الاعداء والحساد، وهو بعد هذا وذاك الامل المرجى فيما اعد الله للصابرين،

من عظيم المكافآت، وجزيل الاجر والثواب.

من نتائج الصبر

الصبر وإن كان تحمله مرا ولعله يتقاطع مع ما يحمله الإنسان من صفات العجلة والهلع والجزع، بيد أن نتائجه طيبة تفتح على الصابر أبواب النجاح والموفقية على مصراعيها، وهو يدل على ايمان راسخ وسمو رفيع في الأخـلاق والخلقة، فالذي يؤمن بقضاء الله وقدره، والذي يعتقد أن الدنيا دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة، يصبر على النوائب؛ لأنه على يقين راسخ ببشرى الصابرين الذين وعدهم الله تعالى بالحسنى، فبالصبر تذلل المشاكل وتتيسر الأمور المعقدة، ولله في خلقه شؤون يبلونا ليميز الصادق منا عن الكاذب، ولا يتحقق ذلك إلا بالصبر والتجلد للمؤمن والجزع والخور للمنافق، ومن نتائج الصبر:

١. إن كل واحـد منا بحاجة إلى الصبر لكي

يستطيع أن يعيش في هـذه الدنيا القصيرة المليئة بالمشاكل والمصائب بكل أناة وتجلد، ويدل صبره على شجاعته في مواجهة المصاعب والمحن.

٢. وما بعد الصبر إلا الفرج، فرضا الإنسان بقضاء الله وقدره وصبره على البلاء يؤدي ذلك به إلى انفراج الكرب وإزالة العقبات.

٣. صبر الإنسان في طاعة الله وعدم معصيته والاستمرار في شكر النعم، يؤدي ذلك إلى أن يغدق الله تعالى عليه نعمه الظاهرة والباطنة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الصبر على أربع شعب: الشوق والشفقة والزهادة والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق عن النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات**».

واليك بعض النصائح الباعثة على كسب الصبر والتحلي به:

١. التأمل في مآثر الصبر، وما يفيء على الصابرين من جميل الخصائص، وجليل العوائد والمنافع في الحياة الدنيا، وجزيل المثوبة والاجر في الاخرة.

٢. التفكر في مساوئ الجزع، وسوء آثاره في حياة الانسان، وانه لا يشفي غليلاً، ولا يرد قضاءً، ولا يبدل واقعاً، ولا ينتج الا بالشقاء والعناء، يقول أحد الحكماء: «لقد قرأت خلال الاعوام الثمانية الماضية كل كتاب، وكل مجلة، وكل مقالة عالجت موضوع القلق، فهل تريد ان تعرف أحكم نصيحة وأجداها خرجت بها من قراءتي الطويلة؟ انها: إرضَ بما ليس منه بد».

٣. تفهم واقع الحياة، وانها مطبوعة على المتاعب والهموم:

طبعت على كدر وانت تريدها
صفواً من الاقدار والاكدار

فليست الحياة دار هناء وارتياح، وانما هي دار اختبار وامتحان للمؤمن، فكما يرهق طلاب العلم بالامتحانات استجلاءً لرصيدهم العلمي، كذلك يمتحن المؤمن اختباراً لأبعاد ايمانه ومبلغ يقينه.

قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾. (العنكبوت : ٢ ـ ٣).

٤. الاعتبار والتأسي بما عاناه العظماء والاولياء من صنوف المآسي والرزايا، وتجلدهم فيها وصبرهم عليها في ذات الله، وذلك من محفزات الجلد

والصمود.

٥. التسلية والترفيه بما يخفف آلام النفس، وينهى عن الوجد كتغير المناخ وارتياد المناظر الجميلة، والتسلي بالقصص الممتعة والاحاديث الشهية النافعة.

نعم العبد إنه أواب

صحيح أنّ اسم النبي أيوب عليه السلام أو سيرته قد وردت في عدّة سور في القرآن الكريم، ولكنَّ ما ورد في سورة «ص» يعدّ شرحاً وافياً لسيرته الكريمة حيث تقول الآية ٤٤ منها: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾.

هذه الآية تستعرض حياة أحد الأنبياء العظام الّذي صار مثلاً للصبر والاستقامة في مواجهته للبلايا والمصائب في حياته الفردية والاجتماعية، ولهذا فإننا نقرأ في حالاته وسيرته المذكورة في سورة «ص» أن

القرآن الكريم يضربه مثلاً للمسلمين في أوائل البعثة الّذين كانوا يعيشون التحديات الصعبة والضغوط المستمرة من قِبل المشركين في مكّة ليتعلموا منه درس الصبر والاستقامة والصمود في مواجهة المشاكل والمصاعب المفروضة عليهم.

وهكذا واجه النبي أيوب عليه السلام مصائب عظيمة لغرض اختباره وامتحانه ولمعرفة درجة شكره وطاعته لله تعالى، وليصعد بهذا الطريق إلى مقامات سامية من القرب الإلهي، فقد كانت له ثروة عظيمة وبساتين وأغنام كثيرة وأبناء صالحون، ولكن كلّ ذلك فقده بين عشية وضحاها، ونفس أيوب ابتلي بمرض شديد ومزمن إلى درجة انه كان يتلوى في فراشه من شدّة الالم الّذي أوقعه في الفراش أسيراً، ولكن أي واحد من هذه الأُمور لم يستطع أن يقلل من شكره لله تعالى، ولم يتمكن أن يخدش في صبره واستقامته في خط الإيمان والطاعة.

هذا وقد سمع أيوب الكثير من التعريض به وبشخصيته، ولعلّ هذه المصيبة كانت عليه من أعظم المصائب، وأحياناً كان عُبّاد بني إسرائيل ورهبانهم يأتون لرؤيته ويقولون له بصراحة: ما هو الذنب العظيم الّذي ارتكبته حتّى ابتلاك الله بهذا الابتلاء والعذاب الشديد؟ ولكن هذا النبي العظيم لم يفقد صبره بل كان يعيش الانضباط الأخلاقي أمام نوازعه النفسية ويلهج لسانه بشكر الله تعالى ويتعامل مع كلّ هذه المصائب من موقع الشكر لا من موقع كفران النعمة والشكوى والجزع.

فعندما ختم هذا النبي العظيم جميع مراحل هذا الامتحان الإلهي الكبير ووقف أمام البلايا والمصائب المختلفة كجبل من الصبر والاستقامة وأخجل الشيطان الرجيم من أن ينال منه ولو بكلمة جزع وشكوى واحدة حتّى يئس منه، عندها فتح الله تعالى أبواب رحمته عليه، وعاد عليه كلّ ما فقده من المال

والأولاد والمواهب الدنيوية الأُخرى بل ضاعفها له أضعافاً مضاعفة، والأهم من ذلك انه نال من ذلك مقاماً عظيماً في دائرة القرب الإلهي ونال وسام ﴿**نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾.

فاصبر كما صبر أولوا العزم

قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ اُوْلُوا العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَستَعْجِلْ لَهُم كَاَنَّهُم يومَ يَرَونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلبَثُوا اِلّا سَاعَةً مِنْ نَهار...**﴾. (الاحقاف: الآية ٣٥).

تستعرض الآية خطاب الله تعالى للنبي الكريم صلى الله عليه وآله موصيةً له بالصبر والاستقامة وأن يقتدي بذلك بسيرة الأنبياء أُولي العزم من قبله، ورغم أنّ هذه الآية الشريفة تتحدّث عن الصبر والتأني في مقابل طلب نزول العذاب الإلهي على المخالفين والأعداء إلى أن تتم الحجّة عليهم، فلعلّه يوجد من

بينهم من له رغبة في سلوك طريق الحقّ ويهتدي بالتالي إلى الإيمان ويكون في زمرة السعداء، ولكن هذا الأمر الإلهي بمثابة دستور عام ودليل واضح على فضيلة الصبر بعنوان منهج عام لجميع الأنبياء من أُولي العزم.

أجل فإنّ جميع الأنبياء العظام وأصحاب الشرائع السماوية عندما كانوا يواجهون أعداءهم المعاندين والأشخاص الّذين يعيشون الجهل والسفه والعناد كانوا يتسلحون بالصبر والاستقامة أكثر ليتمكنوا من هداية الأُمّة إلى ساحل النجاة بصورة أفضل.

النبي نوح عليه السلام دعا قومه إلى طاعة الله (٩٥٠ سنة) ليل نهار في الخفاء والاجهار ووعظهم وحذرهم طيلة هذه المدّة المديدة ولكنه لم يؤمن له سوى بضع أفراد معدودين، النبي إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار الملتهبة، والنبي موسى عليه السلام تعرض هو والمؤمنون من قومه

إلى أشد العذاب من قبل فرعون وأتباعه، وكذلك ما واجهه عيسى عليه السلام من بني إسرائيل من الأذى والاتهام والطرد إلى أن أرادوا صلبه وقتله ولكن الله تعالى انقذه في اللحظة الأخيرة، والنبي الخاتم صبر على أذى قومه حتى قال: «**ما أوذي نبي مثلما أوذيت**» والخلاصة أنّ الحياة الدنيا هي دائماً محل التضاد بين الحقّ والباطل حيث لا يمكن التغلب على المشكلات والمصاعب الّتي يواجهها الإنسان في حركة الحياة إلّا بقوّة الصبر والاستقامة، والأنبياء والأولياء ضربوا أروع الأمثلة في ذلك.

تواصوا بالصبر

وما من شك، بأن فضيلة الصبر لها آثار طيبة على الأفراد والأسر والمجتمعات، ولهم المنزلة الكريمة، والدرجات العلا في الجنة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ**

آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. (العصر: ١ -٣).

ويقسم الله سبحانه في هذه الآيات بالدهر، وفي قول آخر أنه جل شأنه يقسم بعصر النبوة المحمدية، لأنه أشرف العصور، ويذكر العلماء أن المولى العظيم يقسم أنّ الإنسان المكلف بالعبادات، في خسران وهلكة، ويستثني - سبحانه - عباده المؤمنين صادقي الإيمان، الذين يمتثلون لأوامر الله، وينتهون عن نواهيه، ويتواصون فيما بينهم بالخير اعتقادا وعملا، وبالصبر عن المعاصي بالابتعاد عنها وعدم اقترافها، ويتواصون كذلك بالصبر على الطاعات وذلك بالإكثار منها والمواظبة عليها وعلى فعلها.

إن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، رؤوف بهم، فهو جل شأنه يبصرهم ويرشدهم إلى كل ما فيه خيرهم، ويعلمهم الكيفية التي يتفاعلون بها مع الأحداث فيما إذا ما داهمتهم الخطوب، وعصفت

بهم الأنواء وألمت بهم النوازل، فهو سبحانه يدعوهم إلى التحلي بالصبر والمواظبة على الصلوات؛ لان هذا من أنجع السبل، وأمضى الأسلحة التي تمكن الإنسان من التغلب على كل ما قد يعترض سبيله من مصاعب وعقبات، ويسهل عليه تذليلها، يقول الحق جل شأنه في محكم التنزيل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾. (البقرة: ١٥٣).

وبشّر الصابرين

إن من حكمة الله جل شأنه أن يبتلي عباده، وأن يمتحن صدق إيمانهم في كثير من الأمور، كالخوف، والجوع، والفقر، وفقد الأحبة، والفراق، والخسارة في التجارة، ونقص الأموال، وغير ذلك من الأهوال والمصائب والشدائد، التي تحتاج إلى نفوس قوية

بإيمانها، وعزائم جبارة تستطيع تحمل هذه الأهوال والتعايش معها، والصبر عليها، دون تبرم ودون أي اعتراض أو شكوى، بل رضا واحتسابا لله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾. (البقرة: ١٥٥- ١٥٧).

لقد أثنى الله على هؤلاء الذين اختبر إيمانهم فثبتوا وصبروا وصابروا، وقد تحروا الهداية من الله وقبلوها وعملوا بها، فكانت لهم المغفرة، وقد وعدهم الله بالفوز العظيم، وبأنه سبحانه وتعالى سيوفيهم أجورهم، ويغدق عليهم بلا حساب، يقول سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾. (الزمر- ١٠) هنا نلاحظ أن اجر الصابر غير محدود فيما اجور بقية المناقب محدودة، والسبب في

ذلك أن الصبر له مدخلية في كل العبادات بل في كل الأعمال الخيرة، فالمصلي لا يستطيع أن يؤدي الصلاة ويستمر عليها وتؤثر في حياته اليومية من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر إلّا بالصبر، وكذلك الحال في الصائم فإنه لا يستطيع تحمل الجوع والعطش لا سيما في الصيف القائض ولا يستطيع حجب جوارحه وجوانحه عن المعاصي والذنوب إلا بالصبر، والحاج لا يستطيع توفير مقدمات الحج من الزاد والراحلة وتأمين العائلة والأولاد في غيابه واداء مراسيم الحج المضنية إلا بالصبر وهكذا سائر العبادات، ولولا الصبر لما يستطيع المؤمن أن يؤديها بأحسن وجه ليبرأ ذمته أمام الناس في الأمور الاجتماعية وأمام الله تعالى في الأمور العبادية.

ومن الثابت، أن في الصبر والاحتساب تكفير عن خطايا الإنسان، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة، إلا كفر الله بها،**

حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه».

والصبر من أعظم الطاعات، وأكثرها أجرا عند الله، وهو دليل أكيد على صدق إيمان الإنسان، إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره..

زينب جبل الصبر والتحدي

كان الامام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في واقعة الطف قد شدّ على قلوب أهل بيته بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره، فلما رأى النساء يبكين عليه ليلة عاشوراء أوصاهن بالصبر والتجلد قائلا: **«استعدّوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الاعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا**

تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم».

وقد أخذت هذه الموعظة طريقها إلى قلوب العيال، فكان منهم الثبات والصبر والإباء والعزة والشموخ، فهذه العقيلة زينب ابنة علي بن أبي طالب عليها السلام قد أصغت بعقلها وقلبها إلى موعظة أخيها الحسين عليه السلام، حيث قال لها بالخصوص: «**أختاه اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، الذي خلق الخلق بقدرته، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة، يا أختاه أقسمت عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليّ جيبا، ولا تخمشي عليّ وجها**».

وكانت زينب عليها السلام عند وصية أخيها، حيث لم ير الأعداء منها وهناءً، بل وجدوها تلك الحرة الأبية، تحدت بمواقفها أهل النفاق والفتن، وأرهبت الطغاة بصلابتها، وأدهشت العقول بصبرها ورباطة

جأشها، فقد شاهدت إخوانها وبني إخوانها وبني عمومتها وشيعة أخيها مجزرين، وشاهدت إحراق الخيام بعد قتل أخيها، ومرت على مصارع الشهداء، وعاشت محنة الأسر إلى الكوفة ثم الشام والرجوع الى كربلاء المقدسة فالمدينة المنورة، فلم تزداد بكل هذه المحطات الرهيبة والعصيبة إلا ثباتا وصمودا، ووقفت بوجه الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والذي كان على رأس الحكومة في الشام قائلة: «**ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا ترخص عنك عارها، وهل رأيك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين**».

ولتقمص جلباب الصبر لابد للإنسان أن يتصف بصفات التجلد والتحمل والإرادة القوية القادرة على قهر كل ما يعيق تقدمه في الحياة، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه**».[1]

روي أن نبي الله عيسى عليه السلام مر برجل أعمى وأبرص مقعد مضروب الجنبين بالفالج، قد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه، فقال له عيسى: «**يا هذا وأي شيء من البلاء تراه مصروفا عنك**»؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي

(١) الوسائل ج١٦ ص ٢٣ ح٢٠٨٦٢.

من معرفته، فقال: **صدقت هات يدك** فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه.

وهكذا فإن الأديان الإلهية ولا سيما الإسلام أكدت كثيرا على ضرورة تحلي الإنسان بالصبر والتجلد في مكابدته للنوائب والمصاعب والمحن، لما في الصبر من الخير والصلاح لعامة الناس، ولهذا فقد قدم الأنبياء والأوصياء والأولياء أروع وأعظم درجات الصبر في اتيان الطاعات واجتناب المعاصي والتغلب على الرزايا، وإن القرآن الكريم قد سلط الأضواء على تلك المواقف، ليكونوا أسوة حسنة ليس للمسلمين فحسب، بل للمجتمعات الإنسانية جمعاء.